الفنان الكبير/ محمد مرشد ناجي

روح الغناء الوثابة وصوت الأمة..

(اخلاني وراح)

استطاع أن يتصدر قلب الأحداث والمتغيرات التي عاصرها على كل الأصعدة: السياسية / الاقتصادية / الاجتماعية / الثقافية / والنضالية.. فعاش متمتعاً بحساسية وطنية شديدة الرهافة

مازالت ذاكرتي ترسم وتستعيد المواقف الجليلة الراسخة والرصينة مع الفنان الكبير/ محمد مرشد ناجي منذ بدايات العلاقة الحميمة والوثيقة التي جمعتني به وفي لقاءات متعددة أتذكر فيها سلطة الأبوة التي غمرني بفيضها لسنوات طويلة كان ديدنه محباً متسامحاً ناصحاً ومخلصاً في الأقوال والأفعال..

لقد كُتب (بضم الكاف) عن الفقيد الفنان المرشدي كما كتب عن سائر أمثاله من الناس / النخبة - الهيام والموت حباً في الوطن .. وبالتالي تبوؤ مقامات المعاناة النبيلة والسامية.. شاقة وصعبة الكتابة حينما نسطر حروفها بحبر مداد القلب عن فقيد الغناء والوطن (المرشدي).. أحاول عبثاً محاكاته ولمسه من أي طرف متاح كي يستوي النص نصاً خالياً من الحرائق ، الإختراقات... وإستطرادات البكاء.. والأحزان ، أعني إني أبذل قصارى المعرفة كي أبلغ معناك والإلمام ولو ببعضك الكثير والجميل..

يُعد الفنان الكبير محمد مرشد ناجي واحداً من أهم دعائم وركائز (الغناء التجديدي العدني الحديث) بالإضافة لدوره البارز الهام والمؤثر بتقديم الموروث والفلكلور الغنائي اليمني بكل تلاوينه وإيقاعاته المختلفة والمتعددة بأسلوبٍ رائع أخاذٍ ومقدرةٍ فائقة أعادت إليه الروح والحياة بعد حالة الإهمال والنسيان .

› عصام خليدي

فناننا (المرشدي) تعامل مع معظم المقامات الموسيقية الشرقية العربية واستخدمها في أعماله منها: البيات / الهزام / السوزناك / السيكا / الراست/ النهوند / الحجاز / النواثر / والحجاز كار كورد / النيرز راست / راحت الأرواح ... وغيرها من المقامات الأخرى

ولعل (المرشدي) من الفنانين القلائل الذين تمكنوا ببراعة من تقديم عطاءات ونتاجات إبداعية أستندت على محاكاة التراث اليمني برؤيته المستقلة وبمنظوره ومنهاجه ومدرسته المتميزة معتمداً بذلك على جمال وعذوبة ورقة (صوته الذهبي) وسلاسة وسلامة مخارج الألفاظ والقدرة الهائلة على التغيير والتنويع بخلق جمل لحنية نغمية (ديناميكية) والاهتمام بالمقامات والايقاعات اليمنية المصحوبة بثراء في العاطفة والشجن المتدفق والمرتبط بجذور وأصول التربة اليمنية المعطاء .

أن صوت (المرشدي السرمدي) ونحن نستمع إليه يخيل إلينا ونحس كأنه جاء منبعثاً من أعماق الأرض والتاريخ حاملا بصوته الرخيم العذب أبرز وأهم ملامح الأصالة والحضارة اليمنية المترامية بإمتدادها وإتساعها في كل أرجاء الجزيرة العربية والخليج العربي، مؤكداً بأدواته وقدراته الإبداعية المتفردة (جدارته وحنكته) في توصيل كل تلك السمات الفنية والتفاصيل التاريخية / الإجتماعية/ السياسية بحرفية وتقنية عالية وبملكة الفنان المبدع الخلاق المتكئ بمشروعه الغنائي الموسيقي على مرجعية الثقافة والعلم وفي الإطلاع والبحث عن المعرفة بكل شاردة وواردة (يصادفها في جامعة الحياة).

عُرف الفقيد منذ يفاعة الصبا وعنفوان الشباب مكافحاً ومناضلاً صلباً عاشت قضايا أمته في خلاياه الدموية وكان يتنفسها فناً وموسيقى ونغماً مساهماً في تفعيل وسيرورة وتنامي الوعي الوطني والقومي وتطور مداركه الفكرية المنفتحة إضافة إلى مواقفه الإنسانية والنضالية الصلبة والجسورة المشهودة (الفدة) في مقاومة الظلم والإستعباد والقهر والعبودية والجهل والتخلف إبان الحكم الإمامي الكهنوتي في شمال الوطن سابقاً والإستعمار البريطاني في جنوبه.. فمن منا لا يتذكر أناشيده الوطنية التي الهبت همم وحماس الجماهير العريضة وأقضت مضاجع الطغاة الفاسدين الظالمين ورفدت المكتبة الفنية الغنائية الموسيقية والعربية بأعظم وأروع الأغنيات الخالدات التي كان لها السبق والريادة في توحيد الوجدان والضمير الوطني والعاطفي لكل فئات وطبقات الشعب اليمني .. ناضل في سبيل العدل والإستقرار ناشداً وآملاً أن يعيش كل اليمنيين في سلام وسكينة وأمان.

كان للفنان المرشدي نشاطات نوعية .. نخبوية.. وظيفية.. مهنية .. نقابية .. تربوية .. فنية .. وسياسية دلف من خلالها في منظومة المجتمع اليمني .. كان رحمه الله صاحب مدرسة فنية استثنائية متميزة ، أمتلك فقيدنا المبدع (كاريزما مرشدية مستقلة) ورونقاً وحضوراً فنياً إذاعياً وتلفزيونياً ومسرحياً لافتاً ومتفرداً.

ضيقة هي كتاباتنا والتأبينات ، المراثي .. وحتى القصائد وأنت القامة السامقة الشاهقة الباسقة (يامرشدنا) في حضورك البهي الطاغي الجبار كشلالات الماء المتدفقة التي لايأتيها اليباس والجفاف والتصحر .. في هذا المقام نحاول البحث والغوص في سبر أغوار تجربتك النغمية واللحنية المقامية والإيقاعية الساحرة الأسرة، آملين من خلال قراءاتنا النقدية العلمية تسليط الأضواء وإبراز المواطن الجمالية ومطارح وإنبعاثات التألق والمغايرة الكامنة في سفر رحلتك الغنائية الموسيقية الإبداعية العظيمة والخالدة ، ولعل من المفارقات العجيبة التي تجزم أنك متعدد وافر الخصال والشمائل .. المحتشد في رونق شخصك الواحد المتجلي في إسمك ..(المرشد).. وتستحق كل هذا الحزن والوجوم والوجع والذهول المضطرد اللامتناهي .. إن لحظات القضاء والقدر أكدت مصادفة وبتلقائية ربانية (عصاميتك وصلابتك وجسارتك) واجتهادك ودأبك الحثيث بالمعنى التوصيفي والقيمي والأخلاقي والإبداعي من خلال قيامك بدورك في تأدية رسالتك الفنية والوطنية والإنسانية على أكمل وأنصع وأروع صورة لخدمة قضايا وطموحات وآمال وهموم وتطلعات بسطاء الناس من أبناء أهلك وشعبك ووطنك حتى الرمق الأخير من حياتك.

لقد جاءت لحظات القضاء والقدر ومشيئة الله سبحانه وتعالى وفناننا (العملاق) يستعد ويتأهب لتقديم المشاركة وواجب التحية والمباركة في حفل زواج أحد أحفاده، وبعد مغادرة منزله الكائن في مدينة المنصورة وإصراره على الذهاب - رغم حالته الصحية المتعثرة- ووصوله إلى قاعة الحفل في مدينة عدن سقط مغشياً عليه وهو يصعد سلم صالة الفرح .. وقد كان الحضور من عشاق فنه ومحبيه في إنتظاره يترقبون طلعته وتشريفه ويتطلعون شوقاً ولهفة للإطمئنان عليه ورؤيته شخصياً .. لكن الأجل المكتوب سبقنا جميعاً وعلمنا أنه نقل على أثر ذلك إلى المستشفى وبعدها مباشرة وقبل أن نستوعب آثار الصدمة الأولى وصل إلينا الخبر المحزن المبكي والمفجع ذلك في خبر الوفاة ورحيله عن دنيانا الفانية إلى دار البقاء الخالد وجوار ربه .. نعم صعدت روحه العفيفة الطاهرة إلى باريها وخالقها فتحول العرس والفرح إلى موت وعزاء .

وفي الواقع (نجح) الفنان القدير محمد مرشد ناجي بشكل لافت ومبهر في تحقيق كل القيم والمبادى والمفاهيم التي تحمل بمضامينها ماهية ووظيفة الفن ودور الفنان المثقف الملتزم فأبدع بإشتغالاته الغنائية والموسيقية المبتكرة الحديثة وأستطاع في نفس الوقت أن يتعامل ويتعاطى مع التراث والفلكور اليمني (برؤى ومعالجة فنية حداثية) ليجعله محتفظاً بأصالته وهويته ومحبباً لأذن المستمع والمتلقي في داخل الوطن وخارجه ، وتمكن (المرشدي) من خلال أحاسيسه ومشاعره الصادقة أن يمر على كل جبال وهضاب وسهول ووديان اليمن بكل تضاريسها ومناخاتها الساحرة الخلابة فجعلنا نطوف ونحلق مع أعماله وأغانيه الرائعة التي قدمها وأعاد صياغتها غنائياً وموسيقياً بصوته المخملي الدافئ والحنون الممتلئ بالعُرب والحُليات المتوهجة المعبرة لنستمع ونستمتع بفضاءات غنائية موسيقية رحبة فنستعيد بعطاءاته وإبداعاته الفنية (ذاكرة الزمان والمكان) كل الحقب والمراحل الزمنية من تاريخ اليمن الزاخر والحافل بالإبداعات الخالدة ولعل هذه الأعمال الرائعة التي قدمها تؤكد مصداقية ماأشرنا إليه على سبيل المثال لا الحصر : أراك طروباً ، عن ساكني صنعاء ، صادت فؤادي ، يامن سلب نوم عيني ، الفل والورد ، ياساري البرق ، يحيى عمر قال ، قال أبو زيد ، قطفت لك ، شابوك أنا ، يامكحل عيوني بالسهر ، الله أعلم ، أنا من ناظري ، المعنى يقول ، عظيم الشان ، ياغارة الله ، اهلاً بمن داس العذول وأقبل ، صادت عيون المها ، عليك سموني وسمسموني ، هليبه ..يا هليبه، قال الفتى يحيى عمر، أخضر جهيش مليان ، يا نجم يا سامر ، بانجناه ، صون الغرام .. وغيرها .

حمل فناننا المبدع محمد مرشد ناجي على عاتقه هموم وقضايا ونضالات أمته وشعبة فعاش مجبولاً متبنياً لها منذ نعومة أظفاره حتى آخر رمق في حياته.. عشق الأرض اليمنية وأحب أناسها بكل طيبتهم وبساطتهم ، ليجعل من موهبته وفنه وعطاءاته وإبداعاته وسيلة أستطاع من خلالها أن يتصدر (قلب الأحداث والمتغيرات) التي عاصرها على كل الأصعدة : السياسية / الإقتصادية / الإجتماعية / الثقافية / والنضالية .. فعاش متمتعاً بحساسية وطنية شديدة الرهافة متطوعاً بوافر جهوده ومعاناته والأمه من أجل إنتصار حقوق كافة شرائح وطبقات أبناء الشعب .

كان فقيد الوطن فناننا المتألق مهموماً منهمكاً بذلك الحس والوعي الإنساني والوطني اللامتناهي غير المحدود المضني الذي أنعكس على أسلوب عيشه وحياته فدفع ضريبته ثمناً باهظاً من صحته ومستقبله وعدم إستقراره في حياة هانئة هادئة من تبعات مواقفه الوطنية والإنسانية الجادة ، وأستطاع أن يُغير ويعيد تقييم نظرة (السلطة والمجتمع) تجاه (الفن) ليرتقي بسلوكه وأعماله الغنائية الوطنية والعاطفية الرائعة والخالدة (بقيمة وأهمية وماهية وظيفة الفنان المثقف والملتزم) غير العابث واللاهي (المسلي) إلى مفهوم مغاير مختلف تماماً شكلاً ومضموناً في سلوكياته وأخلاقياته ويعبر عن معنى وقيمة الفنان المثقف المتمثل لنبض الشارع وهواجس مجتمعه وبيئته وأمته وشعبه .

ومن أهم الأعمال التي عبرت عن هذا المفهوم بصورة جلية ماقدمه المرشدي من أناشيد وطنية حصدت نجاحات جماهيرية واسعة وموجعة للإستعمار البريطاني وحكم الإمامة نتذكر في هذا المقام الأعمال التالية : يابلادي / هات يدك / ياطير يارمادي / شعبي ثار اليوم / أنا الشعب / أنا يمني / ياطير كم أحسدك / ياميناء التواهي / أنظر إلى بيتي / أخي كبلوني / طفي النار / والله انه قرب دورك يابن الجنوب / قائد الجيش البريطاني .. والعديد من الأناشيد والأغاني الوطنية التي ألهبت وحشدت الطاقات والهمم وأيقظت الوعي الوطني والنضالي ودفعت الجماهير الغفيرة للخلاص من ظلمات وويلات وعبودية الحكم الإمامي والاستعمار البريطاني في شطري اليمن.

المرشدي والأغنية الحديثة (فن التلحين)

يعتبر الفنان محمد مرشد ناجي أحد أهم وأبرز رواد وروافد (الغناء التجديدي الحديث) فقد قدم إضافات تميز بها عن زملائه ومجايليه وحسبت له في مسار تطوير الأغنية اليمنية الحديثة (فللمرشدي وثبات فنية) مبتكرة ذات أبعاد جمالية ورؤى ودلالات فنية مدعمة باشتغالات (ياليكتيكية) وبناءات معمارية هندسية مقامية وإيقاعية وموسيقية بالغة التميز والفرادة والخصوصية تتمحور في تراكيب وصياغات الجملة اللحنية النغمية الموسيقية التعبيرية التصويرية بطريقته وأسلوبه ومنهاجه الذي يعتمد على شقين:

الشق الأول:

يتمثل في إختياراته الأدبية الثقافية والمعرفية الواعية في (تلحين القصائد الفصحى والحمينية) التي تبرز وتبين الجملة الموسيقية وتستند على الثبات والركوز في صياغة تراكيب وبناءات القوالب اللحنية والإيقاعية والجمل الموسيقية وغزارة وعمق وتدفق القوالب المقامية والنغمية التطريبية والتعبيرية (والحوارية الموسيقية) وبالتالي يرتكز قوامها ويستقيم على رصانة وعذوبة ونقاء وصفاء ووضوح مخارج الألفاظ وسلامة وسلاسة المفردات والشعور والإحساس الصادق الشفاف والقوي المفعم والمضمخ بمضامين معاني الكلمات (في النص الغنائي الفصيح) إضافة إلى حالة سريان التدفق النغمي الوجداني والروحي الممزوج والمنصهر بنسيج عاطفي رومانسي مع الأغنية - القصيدة والكلمات المغناة بشكل متناغم بديع ومعبر يضيف ويضفي للقصيدة والنص الشعري الذي يتعاطاه (المرشد) كثيراً من الصور والدلالات والرؤى الفنية الموسيقية والإيقاعية .. ولعل من أبرز هذه الأعمال الحانه لقصائد الشاعر العظيم محمد سعيد جرادة فقد اشتركا معاً في تقديم (ثنائيات وأعمال غنائية متميزة رائعة) كأغنيات: وقفة / ذات الخال / لقاء / هجرت وأبعدتني / شبابك ندي ريان .. وغيرها.

كما لايفوتني أيضاً إلى الإشارة إلى (الثنائية) المشهود لها بالإبداع والتفوق مع الشاعر المبدع والخلاق لطفي جعفر أمان والتي نتذكر منها الأعمال الغنائية الموسيقية العظيمة التالية على سبيل المثال لا الحصر : إلى متى (يا كدا.. والا كدا) / ظبي من شمسان / عرفت الحب/ ودعت حبك / مش مصدق / مع السلامة / ياريت ماكنا.. والقائمة تطول بروائعهما..

بالإضافة للأعمال الجميلة التي سنتطرق إليها تباعاً وتبين بوضوح عبقرية فناننا القدير المرشدي كما أنها ستؤكد ما أشرت إليه في (الشق الأول) من تجربته في (فن صياغة الألحان) وشراكته وتعاونه مع العديد من القامات الشعرية وإسهاماته الهامة في تطوير الأغنية اليمنية التي أرتقت بذائقة الناس وحفرت في ذاكرة ووجدان الجماهير اليمنية وفي الخليج والجزيرة العربية، بل إنها وضعت بصمات وملامح هامة شكلت أهم تجليات وإشراقات الأغنية الحديثة والمعاصرة ومن هذه الأغنيات الناضجات فائقة العذوبة: خلاني وراح، صلاة قلب، دا كان زمان ياصاح ، نظرة من مقلتيها ، سألتني عن هوايا ، طلعت بدرية ، غنوا معي غنوا ، لاتخجلي ، بروحي وقلبي ، لا تطلبي الصفح مني ، بيني وبينك كلام ، على ذكراها ، أكيد يا حبيبي ، مع السلامة ، ضناني الشوق، أحبها ، ياللي أنكرت الحب (نهاية حب)، اللقاء العظيم، ورق.. ورق، يا دموعي، مازلت أهواك ، يا عيبتك، اشتقت لك ، تاج النهار، لم يندمل جرحي.. وكثير من الأعمال التي ستظل راسخة في ضمير ووجدان الأمة.

أما الشق الثاني:

من تجربة المرشدي الغنائية والموسيقية ومدرسته في فن التلحين وطرائقه المتعددة المختلفة يتمحور في استخداماته للمفردة واللفظة الشعرية الغنائية العامية ويعتمد على الجملة الموسيقية القصيرة التي تستند على (ديناميكية حركة ورشاقة الأرتام والإيقاعات) ويمكننا أن نطلق عليها أسلوب (السهل الممتنع) ، ولكنه يهتم أيضاً بالتنويعات المقامية والإيقاعية وبالمقدمات الموسيقية التي تحتاج لمحور خاص للحديث عنها بشكل مفصل ومستقل، ومن الأعمال

فقيدنا المبدع امتلك (كاريزما مرشدية مستقلة) ورونقاً وحضوراً فنياً وإذاعياً وتلفزيونياً ومسرحياً لافتاً ومتفرداً